الإلحاد المعاصر: تاريخية الظاهرة وتبلور المصطلح

Contemporary Atheism: Historical phenomenon and the crystallization of the term

أحمد قبايلي[1،*]، د. يوسف عدار[2]

[2،1] جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة, الجزائر (الجزائر)
a.kebaili@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 24-11-2020؛ تاريخ المراجعة: 17-03-2021 ؛ تاريخ القبول: 2021/06/30

ملخص :

تهتم هذه الدراسة بقراءة وصفية لتاريخ الإلحاد في جذوره الفكرية والفلسفية خاصة عند اليونان، ثم بيان أثر الثورة الفكرية والعلمية التي حدثت في أوربا مع مطلع العصر الحديث، وكان من شأنها أن تحدث اهتزازات في ميادين المعرفة، فظهرت بوادر الشك وساهمت في إسقاط سلطة الكنيسة وإحلال بدلها سلطة العلم التجريبي، ليظهر بعد ذلك الإلحاد بوجهه الجديد مع مطلع القرن 21 بوسائل جديدة وبخطاب تبشيري تحت اسم الإلحاد الجديد أو المعاصر.

الكلمات المفتاحية : الإلحاد، الإلحاد المعاصر، الإلحاد الجديد، إنكار الدين.

Abstract :

This study is concerned with a descriptive reading of the history of atheism in its intellectual and philosophical roots, especially in Greece, then, explain the impact of the intellectual and scientific revolution that occurred in Europe with the beginning of the modern era, and it would cause vibrations in the fields of knowledge, sings of suspicion appeared and contributed to the overthrow of the church's and hority and the substitution of experimental science in its place, after that, atheism appeared with its new face in new means and with a missionary discourse at the dawn of the 21 st century in the name of new or contemporary atheism.

Keywords : Atheism, Contemporary Atheism, New Atheism, Denial of religion.

I- تمهيد :

في ظل انفتاح العالم على الثورات العلمية وآثارها على الإنسان والمجتمع، تعود مسألة الإلحاد لتفرض نفسها في السجالات الفكرية والعلمية، وتضع على جوانبها مجموعة من الوسائل والأدوات العلمية (نظريات، مناهج..) وغير ذلك مما يسمح ببناء نسق متكامل تخاطب به شريحة واسعة من الإنسانية.

هذا الطرح الإلحادي الجديد الذي يمتاز باستعلائيته ونزعته التبشيرية تتشكل معالمه مع بروز كتابات الفرسان الأربعة[سام هاريسSam Harris (ولد سنة 1967م)، ريتشارد دوكينزRichard Dawkins(ولد سنة 1941م)، كريستوفر هيتشنز Christopher Hitchens (1949-2011م)، دانيال دينيت Daniel C.Dennett (ولد سنة 1942م)] وجولاتهم الإعلامية والوثائقية وما إلى ذلك.

ومن المرجح أن ميلاد هذا النسق الجديد كان مباشرة بعد أحداث 11سبتمبر 2001 مما ساعد على تبلور المصطلح "الإلحاد الجديد أو المعاصر"، وإذا كان ظهور مصطلح الإلحاد الجديد لأول مرة في مجلة شبكة المعلومات البريطانية "وايرد wired " تحت عنوان لمقال "كنيسة اللامؤمنين"، فإن السؤال الذي يطرح بإلحاح : هل يدخل ما كان من سجال إلحادي قبل هذا التاريخ تحت اسم الإلحاد المعاصر أو الجديد؟ ثم ماذا يفسر وجود المصطلح "الإلحاد المعاصر" عند بعض الكتاب المسلمين المهتمين بالقضايا الفكرية والفلسفية في القرن الماضي؟ ومن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بالبحث كتاب "مليشيا الإلحاد" لعبد الله العجيري(1976م), وكذلك كتاب "ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان" لعبد الله الشهري, حيث عرضوا لمسألة الإلحاد المعاصر بشيء من التفصيل مع بيان أهم الملامح والمرتكزات, إلا أن الملاحظ على هذه الدراسات أنها لم تعرج إلى التنقيب في تاريخ الظاهرة في بدايات الفكر الإنساني, ولا التركيز على الخط الزمني لتبلور هذا المصطلح, وهذا ما سنحاول توضيحه في الصفحات الآتية على أن نقف على تشكلات الإلحاد المبكرة وصولا إلى مرتعه الخصب في أوربا في عقود عصر النهضة والتنوير والثورة الصناعية والعلمية،لنصل إلى خطه الزمني الذي أذن بظهور المصطلح وفق الآتي:

I.1- مفهوم الإلحاد وتشكلاته المبكرة:

من الضروري قبل الشروع في بسط القول حول ظاهرة الإلحاد في التاريخ القديم، تحديد مفهوم الإلحاد ابتداء من المعنى اللغوي ومرورا بمواطن ورود اللفظ ومشتقاته في القرآن الكريم, مع الاستئناس بآراء بعض المفسرين في هذا الشأن، ثم بعد ذلك نتطرق إلى الحديث عن اللفظ وفق دلالته الاصطلاحية على النحو الآتي :

1.1- في المعنى اللغوي: تعددت المعاني حول لفظ الإلحاد عند اللغويين، إلا أن المشترك بينهم هو اتفاقهم على معنى الميل، فهو الميل عن القصد أو الميل عن الحق[1]، وعند بعضهم "لحد عن القصد: عدل عنه"[2]، وجاء في لسان العرب" أصل الإلحاد الميل والعدول عن الشيء"[3].

وفي القرآن الكريم نجد مادة لحد تتداول في المواضع الآتية:

_ "يلحدون": "وذروا الذين يلحدون في أسمائه" [الأعراف: الآية 180]، "لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين" [النحل: الآية 103]، "إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا" [فصلت: الآية 40].

_ "ملتحدا": "ولن تجد من دونه ملتحدا" [الكهف: الآية 27]، "ولن أجد من دونه ملتحدا" [الجن: الآية 22].

_ "إلحاد": "ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم" [الحج: الآية 25].

والمعاني التي تشترك حول هاته الآيات هو التبديل والتغيير والإنكار والتشويش والتحريف، ويذهب بعضهم إلى أن "يلحدون" بمعنى يشركون أو يكذبون، وخلاصة ما تقرر عندهم من أن الإلحاد هو الميل الشديد الذي يوصل إلى الكفر[4].

وإذا كانت الكلمة "إلحاد" ترد في معاجم اللغة على النحو الذي يؤدي معناه إلى الميل عن الاستقامة أو العدول عن القصد فإن الملحد من أمال مذهبه عن الأديان كلها، لم يمله عن دين إلى دين[5].

وجاء في مفردات القرآن: "ألحد فلان مال عن الحق، والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب، فالأول ينافي الإيمان ويبطله والثاني يوهن عراه ولا يبطله"[6].

2.1- في الاصطلاح: جاء في كتاب الكليات "والإلحاد : هو الميل عن الحق"[7]،ويذكر صاحب موسوعة لالاند الفلسفية من أن الإلحاد هو"عقيدة قوامها إنكار وجود الله"[8], ونقول إن الميل عن الحق لا يشير إلى وجود ملامح تشكل رؤية شمولية للمصطلح، بخلاف ما جاء في الموسوعة الفلسفية والذي يوحي إلى فلسفة لها أركانها، فبقوله عقيدة فلابد من وجود معتقد لها، ويروج لها ويدافع عنها، ولها مضامين وجزئيات بضم بعضها إلى بعض تكون رؤية إيديولوجية عنوانها إنكار الوجود الإلهي.

وهناك من يعرفه بأنه "كل موقف أو مذهب ينفي وجود الله، سواء أكان هذا النفي ضمنيا أم معلنا، نسبيا أم مطلقا، سلبيا أم إيجابيا"[9]، ويعلق صاحب التعريف على هذا فيقرر بأن المقصود بالإلحاد من حيث هو موقف أو مذهب يأخذ قسمين

أحدهما عملي والآخر نظري، فالإلحاد العملي هو إغفال البعد الغيبي في التعامل مع الحياة، أما الإلحاد النظري فهو عدم الإقرار بوجود الله[10].

ويتفق مع ما ورد في الفقرة الأخيرة ما يذكره صاحب المعجم الفلسفي في تعريفه للإلحاد بقوله:"والإلحاد في اصطلاحا هو إنكار وجود الله...وربما كان أحسن تحديد لهذا اللفظ إطلاقه على المذهب الذي ينكر وجود الله"[11].

إضافة إلى هاته التعريفات هناك من يعرفه باعتبار ميزة أساسية فيه، وتعد من أهم أركانه وهي القول بأن المادة هي أصل الكون، وهذا ما يبرزه بعض المشتغلين بالفكر حين يعرف الإلحاد يسمه بالنزعة المادية، فيقول:"الإلحاد –بمعنى إنكار وجود الله- والقول بأن الكون وجد بلا خالق أو أن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في ذات الوقت"[12]، وليس ببعيد عنه من ذهب إلى أن "الإلحاد معتقد أسس على المبدأ القائل إن المادة هي المكون الأصلي الأصيل لهذا الكون، مكونه الموجود منذ الأزل دون خلق"[13].

والملاحظ في هاته التعريفات أن المعنى المشترك بينها هو إنكار وجود الله ،سواء كان إنكارا مباشرا أم غير مباشر، والذي نختاره هو أن الإلحاد إنكار للغيب[14] وأبعاده وأثره في الحياة، فيكون ظاهرا بائنا لمن صرح به ويكون باطنا لمن اعتنق أفكارا في ظاهرها إقرار بمبدأ الإله وفي باطنها هدم لمقتضيات كمال الإله.

3.1- التشكلات المبكرة للإلحاد: يأخذنا الكلام عن جذور الإلحاد في تاريخ الإنسانية إلى سؤال مهم، وهو أيهما أسبق على الآخر الإيمان أم الإلحاد ؟ نجد أن القرآن قد أجاب عن هذا السؤال في عدة آيات، بحيث خلق الله الإنسان مفطورا على الإيمان بالتوحيد مالم تجد الحجب والشهوات طريقها إلى نفسه فتأخذه إلى طريق غير الإيمان بالله، ومن أمثلة ذلك: "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، قالوا بلى، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا وكنا ذرية من بعدهم" [الأعراف: 172-173]، "فأقم وجهك للدين حنيفا، فطرت الله التي فطر الناس عليها" [الروم: 30]، ونحن هنا بصدد البحث عن بدايات تشكل الإلحاد في التاريخ البشري عموما، وقد ذهب كل من جورج طرابيشي وعبد الرحمن بدوي وهم في معرض مناقشتهم لظاهرة الإلحاد في تشكلاتها المبكرة من أن "أفلاطون Plato"(427-347 ق.م)[15] يعد من الأوائل الذين قدموا نظرية شاملة حول الإلحاد، حيث إنه ميز بين أنواع ثلاثة من الإلحاد[16]:

_نفي الوجود الإلهي .

_نفي العناية الربانية حتى في حال الإقرار بوجود إله.

_الاعتقاد باستمالة الآلهة بالصلوات والقرابين.

ويبدو أن هذا التقسيم لأنواع الإلحاد جاء نتيجة دراسة لحالة أثرت في البيئة الفكرية اليونانية في تاريخها القديم، فكانت ملابساتها ووقائعها دافعا لأفلاطونPlato حتى يصرف جهده في الاشتغال بها والتنظير لها، وعليه فإنه بالإمكان أن نقطع بوجود ملاحدة أو معالم تيار إلحادي إلى هذه المرحلة التي تعرف بعصر "الفلاسفة ما قبل السقراطيين"[17] حيث كان لهم السبق في إثراء حركة الفكر اليوناني قبل مجيء "سقراط Socrates "(470-399 ق.م) [18]على شاكلة "طاليس Thales"(624-546 ق.م) [19]،"أبيقورEpicurus"(341-270 ق.م)[20].

وقد اختلفت وجهات النظر حول إرهاصات الإلحاد ومن له السبق في الإشارة إليه عند الفلاسفة القدماء، ومجمل هذه التباينات تتلخص في شخصيات ثلاث ينسب إليها السبق في ذلك دون ترتيب :

_"ديموقريطس Democritus"(460-370 ق.م)[21] الأبديري مؤسس المذهب الذري، وملخص ما توصل إليه من أن العالم كم لامتناه من الذرات التي تتحرك منذ الأزل في فراغ لامتناه بدون أن يخلقها خالق.

_"بروتاغوراس Protagoras"(485-410 ق.م)[22] الأبديري مؤسس المذهب الإنساني، ويتمثل مذهبه في كون الإنسان هو مقياس الأشياء، وبالتالي فليس ثمة لزوم لقوة تكون وسيطة بين الإنسان والعالم هي الله.

_"أبيقور Epicurus"(341-270 ق.م) صاحب مذهب اللذة، حيث أنكر أي دور للإله في خلق الكون، ومنه فالكون قد تشكل صدفة أم من تلقاء نفسه أم هو قديم.

ونحن هنا لا يهمنا بالضبط من هو أول صائغ لمذهب الإلحاد بقدر ما يهمنا إثبات وجود تجليات للفكرة الإلحادية في عصر ما قبل سقراط Socrates(470-399ق.م)، وهذا ما يجعلنا نقطع بامتداده إلى تلك المرحلة.

وعلى اختلاف مضمون ما طرحه هؤلاء الفلاسفة إلا أن النتيجة واحدة، وإذا ما أردنا أن نربطها بما قعده أفلاطون Plato(427-347ق.م) حول أنواع الإلحاد فإن البند الأول وهو نفي الوجود الإلهي يكون مصادقا لما تجلى عند ديموقريطس Democritus(460-370ق.م) وأبيقور Epicurus(341-270ق.م)، في حين نجد بروتاغوراسProtagoras(485-410ق.م) يصدق على مذهبه البند الثاني وهو نفي العناية الإلهية.

2.I- تبلور الإلحاد في العصر الحديث: مما لابد منه كمحدد منهجي قبل الغوص في الحديث عن الإلحاد في الفكر الغربي الحديث، هو الوقوف على الفاصل الزمني الذي به يعرف بداية العصر الحديث، وإذا كان المؤرخون يقررون أن صدور كتاب كوبرنيكوس Copernicus(1473-1543م)[23] حول حركة الأجرام السماوية هو المحطة التي كانت إيذانا ببداية العصر الحديث في أوربا[24]، فإن هذه المحطة الزمنية لم تكن مجرد تاريخ فقط، وإنما شكلت منعرجا حاسما غير مسار التفكير في المجتمع الأوربي في شؤون المعرفة والعلوم، حيث إن الكنيسة كانت تحتكر السلطة المعرفية الدينية والكونية، وكانت تقريراتها حول نشأة الكون والحياة بمثابة وحي مقدس لا يجوز الخروج عنه فضلا عن طرح التساؤلات حوله ونقده، فجاء هذا الكتاب ليقض مضاجع السلطة الدينية ويحدث حركة فكرية وحاملا جملة من المساءلات معرفية وفلسفية ظهرت تجلياتها مع جمع من الفلاسفة والمشتغلين بالمعرفة[25].

وفي ضوء هذا النسق الجديد كانت الكتابات الجدلية والنظم والإجراءات الاجتماعية والسياسية التي اتخذت ضد فكرة الإله قد ظهرت في فرنسا في القرن17، مما يدل على أن الإلحاد كان حاضرا بقوة قبل هذا التاريخ، وعلى الرغم من أنه لم يكن مشهورا في أوربا إلا أن بذور عدم الإيمان قد تم غرسها، وهو ما كان يظهر في النقاشات الدينية[26]، ويوضح الدكتور زكي نجيب محمود[27] من أن "نشأة العلوم الطبيعية ودراسة ظواهر الطبيعة بالتجربة العلمية، وكان العالم حينئذ قد امتد أفقه واتسع نطاقه بكشف أمريكا والطريق البحرية إلى الهند، وبما انتهى إليه كوبرنيكوس في دراسته الفلكية من اعتبار الأرض كوكبا بين كواكب المجموعة الشمسية وبما اهتدى إليه جاليلو وكبلر وغيرهما من النتائج العلمية، فقد أدى إلى توجيه العقل توجيها جديدا"[28]،ولعل هذا ما يفسر التوجه الجديد والاعتقاد الديني الذي بدا للعيان عند الأوربيين من أن الإنسان ليس بحاجة إلى سلطة خارجية ترسم له معالم حياته، فباستطاعته أن يدبر شؤونه ومتطلبات الحياة بغير التوجيهات الإلهية[29]، فكانت هذه المحطة الزمنية بمثابة مؤشر لدخول أوربا في عصر جديد تكون فيه السيادة للعلم وبداية التخلي عن الدين، مرورا بالاكتشافات العلمية التي شكلت قوة وجرأة لظهور النزعة الشكية لتكون أهم تجلياتها فكرة موت الإله مع نيتشه Nietzsche(1844-1900م)[30].

وفي هذا السياق تم إصدار كتابات تؤيد فكرة الإلحاد، ليشهد القرن18 بعد ذلك أسماء كبيرة في الفلسفة تؤيد الإلحاد وتدافع عنه، وتقدم جهودا لنقد فكرة الله، أو فكرة الوحي، على غرار ديفيد هيومDavid Hume (1711-1776م)[31] الذي كان يتبنى مقولة مفادها بأن فكرة الإله غير قابلة للاستيعاب وعارض مبدأ ضرورة وجود الله، وأكد على أن وجود الشر والمعاناة في العالم يمثل تحديا عقليا قويا، وكذلك الأمر بالنسبة لفولتيرVoltaire(1694-1778م)[32] ، إلا أنه يختلف في منطلق فكرته مع هيوم Hume، لكن مخرجاتهما واحدة، فنجد فولتيرVoltaire يؤمن بفكرة الربوبية إلا أنه يرفض دور الوحي وسلطة العلم الديني، وهذا مع بلوغ الثورة العلمية أوجها مع نيوتنNewton(1642-1727م)[33] ولابلاسLaplace(1749-1827م)[34] ، وهو ما دفع توماس هوبزThomas Hobbes(1588-1679م)[35] إلى تشبيه أجهزة جسم الإنسان بمجموعة من الآلات التي تحكمها القوانين الفيزيائية، وكأنه يلمح إلى إلغاء تدخل العناية الإلهية في تسيير الكون والإنسان.

وقد كان لهذه الثورة العلمية أثر مدمر للمسيحية في أوربا، إذ تلتها نزعة إلحادية عصفت بكثير من الأفكار والمسلمات، مما جعل القرن18 يمثل العصر الذهبي للنزعة الشكية في التاريخ الحديث, وعليه فإنه يمكن القول إن أهم المحطات التي شكلت عوامل بارزة في ظهور الإلحاد وتمكنه في أوربا تتلخص كالآتي:

1.2- غطرسة البابوية وظهور حركة الإصلاح الديني: كان للكنيسة عصرها الذهبي في أوربا، حيث كانت تبسط سطوتها على الحياة الفكرية والسياسية والدينية، بتعزيز من السلطة الملكية حتى أضحى رجال الدين والملوك صنوين لا ينفصلان، وهذا ما جعل البابوية ترفع سوط جلادها لتسلطه على كل من يخالف تعاليمها، وببروز شخصيات علمية نجحوا بأبحاثهم الفلكية في إماطة اللثام عن عوار التعاليم المسيحية في العلم والمعرفة، فوجدوا الحقيقة مخالفة لما أقرته سلطة الكنيسة، فثار جنون هذه الأخيرة وأشعلت فتيل الحرب على كل من يخالف تقريراتها، وأقرت قوانين تعسفية ومحاكمات تمثلت في محاكم التفتيش لكل من يحاول الاعتراض على خطها العريض، فتسببت هذه الإجراءات القمعية في التمرد على التعاليم البابوية وشكلت دافعا للثورة على الدين كلية فيما بعد، وفي خضم هذه الأحداث ظهرت حركة الإصلاح الديني كنزعة توافقية تصحيحية بين الأرثوذكسية والكاثوليكية، تحت إشراف مارتن لوثرMartin Luther(1483-1546م)[36] منشئ مذهب البروتستانية كمحاولة لعقلنة التعاليم الكنسية، ولكنها بالمقابل فتحت بابا لإسقاط مصداقية الكنيسة ورجالها، وذلك لما ألغى مارتن لوثر كثيرا من شعائرها[37]، وتجسد في وسط المجتمع الغربي شعور بعدم الحاجة إلى الكنيسة وتعاليمها خصوصا بعد أن فقدت هيبتها مع البروتستانية، وحتى هذه الأخيرة لم تنج من الثورة التشكيكية، فما فعله رجال الدين والبابوات من استغلال الطبقة الكادحة في تنمية الثروات دون مراعاة أحوال الناس البائسة، فتحت الباب للتحرر من الكهنوت والإكليروس الديني[38].

2.2- النزعة المادية وإعادة تشكل مفهوم العلم: كان لشيوع النزعة المادية أثر بارز في تشكل مفهوم جديد للعلم وحصره في دائرة ضيقة بمعايير محددة، بحيث يخرج منها كل ما ليس في مجالها من دائرة العلم، فغدت المادة والتجربة حاكما على العلم، وقد كان لهذه المحطة إرهاصات خصوصا بعد أن "أخذ الكثيرون من رجال الفلسفة يذودون عن الدين ويدافعون عن تعاليم الكنيسة، فأثار هذا ضيق رجال العلم بهم، ونهضوا لمحاربتهم في ابتعادهم عن الواقع، وخلو فلسفتهم من النزوع المادي، وغلا هؤلاء العلماء في إغفال جانب الروح وتفسير كل شيء بالمادة والقوة"[39].

وكان لهذا الفكر آثار مدمرة كادت أن تأتي على البشرية، فتجسدت أطروحات تدعو إلى توظيف القوة من أجل السيطرة فحسب، دون مراعاة للإنسان ومعاناته، وأصبح منطق "البقاء للأقوى" هو شعار هذه الفكرة، ويبدو أن آثارها ظهرت جليا في سياسة القوة والغطرسة التي اعتنقتها النازية، وعليه فإن نداء الروح قد غيب تماما في هذا الوسط مما خلق خواء كبيرا في المجتمع فأراد أصحاب هذا الفكر استدراك الوضع، وذلك بدخولهم عالم الفن ومحاولتهم صبغه بالصبغة المادية البحتة[40].

إضافة إلى هذا فقد ساهمت الكشوفات العلمية بإحداث هزة قوية في مسار العلم، خاصة في تمثلاتها الصناعية فكانت بابا لأكبر موجة شكية في أوربا، واتجه الخط العام من تأليه الدين إلى تأليه العلم، ومما ساعد على هذا بحظ وافر هو أن حركة الاكتشافات العلمية استطاعت أن تجيب على تساؤلات كانت تبدو غامضة وغيبية، فجاءت ردة الفعل بأن العلم وحده كفيل بالإجابة عن التساؤلات الغامضة آنا أم مستقبلا، وبالتالي فلا حاجة للإله، وبما أن التجربة والملاحظة من أهم خصائص هذا العلم، والإله بدوره لا يخضع لهذا المنهج فهو إذن خارج عن دائرة العلم.

3.2- الثورة الفرنسية وتشكل الفكر اللاديني: قامت الثورة الفرنسية كحركة تحررية ضد الملك وحاشيته، بعد اضطرابات سياسية اقتصادية واجتماعية، وكانت خلاصة مطالبها إقامة دستور يعين حقوق الشعب ويحد للملك حدوده، وأهم ما رمت إلى تحقيقه هو إلغاء الإقطاع ورفع ضريبة العشر التي كانت تأخذها الكنيسة، وإعداد مسودة حقوق الإنسان.

بعد ذلك تبلورت اللائكية من وحي الثورة، والتي لم يكن هدفها تحرير السياسي من سيطرة الكنيسة فحسب، بل راهنت على مقارعة الدين عامة وطرده من الفضاء العام لتحل محله القيم اللائكية الصلبة[41]،ومما شجع على هذا جشع موظفي الكنيسة وهوسهم بالمال والماديات، حيث إن كبار الأساقفة ورؤساء الأديرة كانوا يأخذون واردات ضخمة ورواتب عديدة, ولما كانت هذه الثورة حاضنة لمبادئ الحرية والعدالة والمساواة، بدت بعدها بوادر الفكر اللاديني تتشكل في السياسة والاجتماع والاقتصاد، فشهدت أوربا بروز نظريات دارون Darwin(1809-1882م)[42]، ماركس Marx(1818-1883م)[43]، نيتشه Nietzsche (1844-1900م)، فرويد Freud(1856-1939م)[44] ودوركايم Durkheim(1858-1917م)[45]، وأخذت مكانها في الحياة الفكرية في المجتمع الغربي، راسمة طريقا معبدا نحو الإلحاد سواء علانية أم ضمنا، ورفع نداء فك القيود من سلطة الدين إلى إعلاء قيمة الإنسان الذي لن تكون له قيمة إلا بتغييب الدين من الوجود، وعليه فلابد من التخلص من الوهم أي وهم الدين.

إلى هذه المعالم التي ساهمت في تشكل الإلحاد في أوربا في العصر الحديث، وتبنيه من أسماء كبيرة في الفكر والفلسفة إلى محاولات تجسيده في الواقع، فجنت آثاره على الإنسان والعالم، لكن السؤال الذي يطرح بإلحاح، الإلحاد اليوم قد اكتسى ثوبا جديدا، فهل مضامينه هي نفسها مقارنة بصورته المعهودة من قبل؟ أم أن هناك جديدا يستدعي الوقوف عليه ومحاولة دراسته واكتشاف معالمه ووسائله؟؟.

3.I- أحداث 11 سبتمبر وتبلور مصطلح الإلحاد المعاصر: وقوفا عند أحداث 11 سبتمبر2001 ، الذي كان منعرجا حاسما ونقطة بداية في صياغة نسق جديد للترويج للأطروحة الإلحادية، وما يميزها أكثر أنها جاءت بشراسة أقوى وبمبررات مغرية ووسائل جذابة، تتخفى في ثوب الإنسانية وحب السلام والسعي من أجل التعايش، ومن أهم التكئات التي بررت هذه النزعة استغلال الأفعال الدموية باسم الدين التي كانت تصدر من الحركات المتطرفة, فظهرت عدة أسماء تتزعم حركة هذا النسق الجديد ولعل أهمها وأشهرها ما يعرفون باسم "الفرسان الأربعة"، وهم رؤوس حركة الإلحاد الجديد "ريتشارد دوكينز Richard Dawkins"(ولد سنة1941م)[46]، "سام هاريس Sam Harris"(ولد سنة1967م)[47]، "كريستوفر هيتشنز Christopher Hitchens"(1949-2011م)[48]، و"دانييل دينيت Daniel C.Dennett"(ولد سنة1942م)[49]، حيث برزت كتاباتهم مباشرة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، سام هاريس في كتابه "نهاية الإيمان، الدين والإرهاب ومستقبل العقل The end of faith"، ريتشارد دوكينز في كتابه "وهم الإله GOD of delusion"،كريستوفر هيتشنز في كتابه "الله ليس عظيما، كيف يسمم الدين كل شيء GOD is not great" ،ودانييل دينيت في كتابه "كسر السحر Breaking the speel"، فشكلت هذه الكتب أدبيات تغازل المجتمع العالمي بضرورة إبعاد الدين عن الحياة والتخلص من وهم الإله، وترويج فكرة أن الدين لم يفعل شيئا سوى إحلال الخراب والدمار والمعاناة والألم في العالم، فوجدوا في الإعلام والسينما والكرتون والروايات[50] مرتعا خصبا للتبشير بأفكارهم ذات النزعة التشكيكية والمؤلهة للتجربة والمادة، مع رفع راية التحرر من سلطة المقدس وما يحمله في تعاليمه -على حد زعمهم- من تغذية لنار التطرف والحروب.

وعلى الرغم من أنه لم نجد فيما توفر بين أيدينا من مادة معرفية مباشرة تؤسس للحظة ظهور المصطلح –الإلحاد المعاصر أو الجديد-[51]، غير أن عبد الله العجيري وعمرو شريف يذكرون بأن أول ظهور لمصطلح الإلحاد الجديد كان في عام 2006 في مقالة نشرت في مجلة "وايردwired " البريطانية لصاحبها "جيري وولف Gary wolf"، بعنوان"كنيسة غير المؤمنين" (The church of the non-believes) [52]، ومن هنا " يعود الإلحاد ليقدم نفسه بديلا عن الأفكار الدينية يستغل بعض الحوادث الإرهابية من هنا وهناك ليبرهن على ضرر الدين وتسميمه لكل شيء"[53].

ويبدو مما تقدم أن "الإلحاد الجديد هو الظاهرة التي نشأت في عصرنا الحالي ردا على التطرف والعنف الديني الذي ساد هذا العصر"[54]، حاملا لواء العلم والتجربة كتيار يحاول التمركز حول فكرة إنكار وجود الخالق، ومفاد هذه الفكرة وسبب المحاولات المتكررة لتفنيدها وزعزعة أركانها، أن الخالق معبود وتعاليم العبادة مبثوثة في الدين، والدين مصدره الله، وعلى حد زعمهم فإن الدين سبب للحروب ومنشأ التطرف والآلام فوجب اجتثاثه وإبعاده عن الحياة ، ليتسنى بعد ذلك

للناس العيش في سلام وهدوء وحب، وهذا جوهر ما يبشرون به انطلاقا من عناوين كتبهم، والمؤتمرات والندوات التي تعقد وينشطها كبار الملحدين في هذا العصر ، والتي من شأنها أن تؤسس لخطاب جذاب يتناول قضايا الإلحاد والدين والحياة, وعلى سبيل المثال، فقد عقد مؤتمر عام 2006 في مؤسسة "سالك salk" في كاليفورنيا بعنوان: "ماذا بعد الإيمان؟ العلم، الدين، العقل، الحياة"، حيث تولى تأطيره كل من "ريتشارد دوكينز Richard Dawkins"(1942م) و"ستيفن وينبرج Steven Weinberg"(ولد سنة 1933م)، وكان يحمل أسئلة هامة تمثلت في النقاط الآتية:

_هل يستطيع العلم إزاحة الدين من الحياة؟

_ما الذي يطرحه العلم كبديل عن الدين؟

_هل يمكن أن نكون فضلاء دون دين؟

وتمحضت الإجابات والمناقشات حول هذه الأسئلة الخروج بالتوصيات الآتية:

_الدين وهم خطير، يؤدي إلى العنف والحروب.

_ينبغي التخلص من الدين، وسيقوم العلم بهذه المهمة.

_لا نحتاج لإله لنكون على خلق، فالإلحاد يمكن أن يكون منطلقا قويا للأخلاق[55].

ويظهر من هذه التوصيات ملمح مهم وبارز وهو وجود نزعة تطرفية تجاه كل ما له علاقة بالدين، مع محاولة إبراز مصادمة العلم للدين وتقديمهما على أنهما خطين متوازيين لا يلتقيان ولابد من كسر أحدهما حتى تكتمل السيادة للآخر، وبما أن المراهن عليه للنجاح في الترويج لفكرة الإلحاد هو العلم (التجربة) فلابد من التخلص من الدين وتقديم العلم بديلا عنه، وهذا ما فعلته إحدى المجلات لما نشرت مقالا حول أصداء هذا المؤتمر تحت عنوان:" البديل عن الإله The place of GOD "[56], وبناء على ما ذكر فيمكن أن نجمل معالم الإلحاد المعاصر في مستويين:

1- إنكار وجود الله.

2- إنكار الدين.

كما أن هناك من يعبر بطريقة أخرى فيجعل الملاحدة ثلاثة أقسام:

_ملاحدة يزعمون أن لديهم نظريات تثبت عدم وجود الله.

_ملاحدة يزعمون بأن الأدلة لا تكفي في إثبات وجود الله كما أنه ليس لديهم دليل على عدم وجوده.

_ملاحدة يؤمنون بوجود قوة وراء العالم لكن ينكرون الدين.

وعلى هذا فإنه يطلق على الفئة الأولى"الإلحاد الإيجابي" ،ويطلق على الفئة الثانية "اللاأدرية"، ويطلق على الثالثة "اللادينية"[57]، كما يلاحظ في هذا الطرح الجديد سمة بارزة وحاضرة بقوة في خطاب ملاحدة العصر ونجدها تقريبا عند جلهم، بحيث تكون مرافقة لحمولات المصطلح ، وهي العدائية الشرسة تجاه كل ما هو ديني ، بحملات مستفزة واستعلائية طابعها السخرية والاستهزاء والتهكم على التعاليم الدينية.

ولعل هذا ما يبرز أهم تشكلات معالم المصطلح، ولنا أن نتساءل حول المضامين المشكلة للإلحاد الجديد وكون ظهور المصطلح في فاصلة زمنية ، هل يكون هذا الظهور ملاصقا لجملة مضامينه؟ أم أنها سابقة عليه إلى فترات متباعدة ولكن ساهمت في خطها الزمني المتواصل في تبلور المصطلح، فيصبح ظهوره في نقطة زمنية هو اكتمال لمعالمه الكلية، وهذا يعززه ما وجد من معالمه التي تناولها فلاسفة ومفكرون في زمن فائت، خاصة في العصر الحديث ما حيك عند شوبنهاور Schopenhaueur (1788-1860م)[58] وماركسMarx(1818-1883م) ونيتشه Nietzsche(1844-1900م) وفرويد Freud(1856-1939م)، من أن الدين هو صنيعة بشرية لتفسير مجهول، أو هو يساهم في جعل الشعب كسولا وغير مؤمن بقدراته في تغيير الواقع، وهو فكرة عبثية وجريمة ضد الحياة ومحاولة من اللاوعي للتطلع نحو الكمال, فهذه الأفكار التي تمحضت عن نظريات ماركس Marx(1818-1883م) وإنجلزEngels(1820-1895م) في الاقتصاد

والتفسير المادي للتاريخ، ونظرية فرويدFreud(1856-1939م) في علم النفس ونظرية داروين Darwin(1809-1882م) في أصل الأنواع ونظرية دوركايم Dorkheim (1858-1917م) في علم الاجتماع ، تعد من أهم أسس الإلحاد في العالم.

وعلى الرغم من كونها كانت مدار الحركة العلمية والفلسفية في أوربا في العصر الحديث ، إلا أنها لازالت تشكل البناء المتماسك للإلحاد، إلا أن ملاحدة العصر ألبسوها لباسا يتوافق وروح الراهن، مع نزعة عدائية متطرفة تجاه الإله، ويعملون على تصوير تعاليمه المتمثلة في الدين بأنها منشأ التطرف والعنف، كما نجد أيضا محاولات إبراز عبثية الدين في الحياة، ولا أثر له غير إحلال التعاسة والحرمان من الملذات، بما يقود إلى القول بأنه غير معقول.

II - الخلاصة :

من خلال التعاطي مع هذا العرض الوصفي بشيء من التحليل لحركة الإلحاد من بواكيره إلى تجلياته المعاصرة فإن خلاصة ما نتوصل إليه نحدده في النقاط الآتية:

1- الإلحاد المعاصر ظاهرة تتمركز حول فكرة إنكار الوجود الإلهي سواء كان هذا الإنكار مباشرا أم ضمنا، وعليه ما محل المذاهب التي تشتغل بالإنسان والقيم بشكل مادي بحت من هذا ؟ ومنه فكل مذهب يتجاهل الأثر الإلهي في الإنسان والحياة هو داخل في اسم الإلحاد وإن لم يصرح بذلك.

2- إضافة إلى هذا ما تقرر من أن مجمل مضامين الإلحاد المعاصر كانت حاضرة في أدبيات الأوربيين في العصر الحديث هو وقوفنا على مصطلح المعاصر، والذي يدل على معان تتجلى في حركة متواصلة لتصل إلى نقطة تبلور المصطلح وظهوره، وليس هو فاصل زمني بحيث ينفصل مضمونه عن ما سبقه من تطورات، فتكون المعاني والأفكار التي سبقت ظهور المصطلح هي بمثابة أصول وإرهاصات للظاهرة الإلحادية كما هي عليه الآن، إلا أن متبني فكرتها ومروجيها أضفوا عليها حلة جديدة تتوافق وتطلعات هذا العصر.

3- وزيادة على هذا يظهر عند الملاحدة الجدد النزعة التبشيرية بناء على ما يتم توظيفه من وسائل العرض (كتب وروايات، قصص، أفلام وكرتون) تحمل في أثنائها أفكارا إلحادية، فيكون إطلاق مصطلح الإلحاد المعاصر حاملا في طياته هذه المضامين.

4-حركة الإلحاد المعاصر تستدعي تظافر جهود أطراف عدة لمواجهتها وقراءة آثارها على الإنسان والمجتمع، خاصة في ظل الانفتاح على شبكات التواصل الاجتماعي والمنتديات، بغية تحديد أهم أسسها ومداخلها ودراستها في سياقاتها المحددة وهذه تتطلب مزيدا من التساؤلات حول نجاعة الوسائل الحالية ومدى صمودها أمام الموجة الإلحادية المعاصرة.

- الإحالات والمراجع :

[1]. ينظر، ابن فارس(1979م)، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون: دار الفكر، ج5ص236.

[2] . الزمخشري(1998م)، أساس البلاغة، ط1، تح محمد باسل عيون السود، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، ج2ص161.

[3] . ابن منظور(1414ه)، لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر، ج3ص389.

[4] . ينظر مادة لحد في تفاسير (الطبري، الزمخشري، الرازي، القرطبي وابن عاشور).

[5] . ينظر، الزمخشري(2009م)، تفسير الكشاف، اعتنى به خليل مأمون شيحا، ط3، بيروت-لبنان: دار المعرفة، (ج14ص584- ج17ص693).

[6] . الراغب الأصفهاني(دت)، المفردات في غريب القرآن، تح محمد سيد كيلاني، بيروت-لبنان: دار المعرفة، ص448.

[7] . الكفوي(1998م)، الكليات، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص490.

[8] . أندري لالاند(2001م)، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، ط2، بيروت-باريس: منشورات عويدات، مج 1ص107.

[9] . جورج طرابيشي(2005م)، الإلحاد ضمن كتاب حرية الاعتقاد الديني، مجموعة من الكتاب، تصنيف وتقديم محمد كامل الخطيب، ط1، دمشق-سوريا: دار بترا للنشر والتوزيع، رابطة العقلانيين العرب ، ص388.

[10] . ينظر، المرجع نفسه، ص388.

[11] . جميل صليبا(1982م)، المعجم الفلسفي، بيروت-لبنان: دار الكتاب اللبناني، ج1ص120.

[12] . محمد قطب(2001م)، مذاهب فكرية معاصرة، ط9، القاهرة: دار الشروق، ص605.

[13] . محمد عادل الحلو(2017م)، رحلة العلم من الإلحاد إلى الإيمان، ط3، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ص36.

[14] . بخلاف مصطلح المتافيزيقا في مجاله التداولي الفلسفي، فليس كل من ينكر الميتافيزيقا يكون قد أنكر الغيب.

[15] . فيلسوف يوناني، ولد في أثينا أو في إيجينيا في أرجح الأقوال سنة 428 ق.م، وكان من أسرة أثينية عريقة في المجد.(ينظر عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1ص154).

[16] . جورج طرابيشي، الإلحاد ضمن كتاب حرية الاعتقاد الديني :390. وينظر عبد الرحمن بدوي(1984م)، موسوعة الفلسفة، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1ص220.

[17] . يطلق هذا المصطلح للإشارة إلى مجموعة من المفكرين اليونان الأوائل فيما قبل زمن سقراط، ممن حاولوا أن يعرفوا تركيب العالم وطبيعة الواقع. .(ينظر جوناثان ري و ج.أو.أرمسون(2013م)، الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر فؤاد كامل، جلال العشري وعبد الرشيد الصادق محمودي، مراجعة وإشراف زكي نجيب محمود، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة، ص 222).

[18] . فيلسوف يوناني، ولد سنة 470 ق.م بأثينا.(ينظر عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1ص576).

[19] . فيلسوف يوناني أول من لقب بالحكيم، ويعده أفلاطون أحد الحكماء السبعة.(ينظر ديوجينوس اللاثرتي(2006م)، حياة مشاهير الفلاسفة، تر وتقديم إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل اليوناني محمد حمدي إبراهيم، ط1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، مج1ص45.

[20] . أثيني المولد، يعرف بنظريته الخلقية في مذهب اللذة وأنه شارح للنظرية الذرية.(ينظر جوناثان ري وج.أو.أرمسون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص 14).

[21] . ينسب إليه تأسيس المذهب الذري، من أهم آرائه أن مبادئ الكون الأولى هي الذرات.(ينظر ، بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1ص507).

[22] . السفسطائي الإغريقي، ولد في أبديرا واشتهر بأنه معلم الخطابة.(ينظر ينظر جوناثان ري و ج.أو.أرمسون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص92).

[23] . عالم فلك بولندي، يعتبر أحد علماء الفلك القلائل الذين أثروا في الحركة العلمية والفلسفية.(ينظر منير البعلبكي(1992م)، معجم أعلام المورد، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، ص 370-371.

[24] . ينظر عمرو شريف(2016م)، الإلحاد مشكلة نفسية، ط1، القاهرة: نيو بوك للنشر والتوزيع، ص31.

[25] . مثل هوبز، بيكون، هيوم، كانط..

[26] . ينظر حمزة أندرياس تزورتزس(1438ه)، الحقيقة الإلهية، تر نايف الملا، ط2، المملكة العربية السعودية:مركز دلائل، الرياض، ص 49-51.

[27] . أستاذ الفلسفة المصري من أعماله موقف من الميتافيزيقا، في حياتنا العقلية، تجديد الفكر العربي ...

[28] . زكي نجيب محمود(1936م)، قصة الفلسفة الحديثة، القاهرة: السلسلة الفلسفية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص38.

[29] . ينظر محمود عبد الحكيم عثمان(دت)، جهود المفكرين المسلمين في مقاومة التيار الإلحادي، الرياض-المملكة العربية السعودية: مكتبة المعارف، ص17.

[30] . فيلسوف ألماني، يعد مؤسس فلسفة القوة.(ينظر بدوي، موسوعة الفلسفة، ج2ص508).

[31] . فيلسوف ومؤرخ إنجليزي.(ينظر، بدوي، المرجع نفسه، ج2ص611).

[32] .كاتب ومفكر فرنسي شهير.(ينظر، بدوي، المرجع نفسه، ج2ص201).

[33] . رياضي وفزيائي إنكليزي.(ينظر البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص 462).

[34] . رياضي وفلكي وفزيائي فرنسي.(ينظر البعلبكي، المرجع نفسه، ص 382).

[35] . فيلسوف إنجليزي ومفكر سياسي.(ينظر بدوي، المرجع السابق، ج2ص554).

[36] . مصلح ديني مسيحي مشهور ومؤسس المذهب البروتستنتي.(ينظر بدوي، موسوعة الفلسفة، ج2ص363).

[37] . ينظر عبد الرحمن عواجي(1439ه)، الإلحاد الحديث، ط1، الرياض- المملكة العربية السعودية: مركز دلائل، ص45.

[38] . ينظر، المرجع السابق، ص 46.

[39] . توفيق الطويل(دت)، قصة النزاع بين الدين والفلسفة، مصر: مكتبة الآداب، ص230.

[40] . ينظر، علي عزت بيجوفيتش(1997م)، الإسلام بين الشرق والغرب، تر محمد يوسف عدس ، ط2: مؤسسة بافاريا، مبحث الفن والإلحاد ص 152-156.

[41] . ينظر، جفري برون(2006م)، تاريخ أوربا الحديث، تر علي المزروقي، ط1: الأهلية للنشر والتوزيع، ص382.

[42] . عالم حيوان إنجليزي اشتهر خصصوصا بمذهب التطور.(ينظر بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1ص473).

[43] . مفكر اقتصادي وسياسي ألماني، أشهر كتبه "رأس المال".(ينظر المرجع نفسه، ج2ص418).

[44] . مؤسس التحليل النفسي.(ينظر المرجع نفسه، ج2ص122).

[45] . فيلسوف اجتماعي، يعد من كبار مؤسسي مدرسة علم الاجتماع في فرنسا.(ينظر المرجع نفسه، ج1ص480).

[46] . بريطاني ولد في نيروبي بكينيا عام 1941، بيولوجي كان يشغل منصب أستاذ تبسيط العلوم بجامعة أكسفورد، أشهر كتبه وهم الإله الذي صدر في 2006. ينظر، عمرو شريف، الإلحاد مشكلة نفسية، ص 42.

[47] . عالم أعصاب أمريكي، من أشهر كتبه "نهاية الإيمان".

[48] . كاتب صحفي أمريكي، من أشهر كتبه حول الإلحاد "الله ليس عظيما، كيف يسمم الدين كل شيء".

[49] . ولد في بوسطن عام 1942م، مهتم بفلسفة العقل وفلسفة العلم والبيولوجيا التطورية. ينظر، عمرو شريف، الإلحاد مشكلة نفسية، ص 42.

[50] . ينظر أمثلة حول هذا في كتاب "ميليشيا الإلحاد، د. العجيري"، ص29-33.

[51] . في نظرنا الإلحاد الجديد أو المعاصر شيء واحد ويعبران عن توجه واحد والفارق بينهما هو من حيث اللفظ فقط باختلاف مجال التداول ولذلك نجد مصطلح المعاصر متداولا عند بدوي (موسوعة الفلسفة) وعند عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (كواشف زيوف المذاهب الفكرية) في القرن الماضي ، لكن الجديد عند فرسان الإلحاد الجدد هو طريقة العرض ووسائل الخطاب إضافة إلى النزعة التبشيرية.

[52] . ينظر، عبد الله العجيري(2014ه)، ميليشيا الإلحاد، ط2، المملكة العربية السعودية: مركز تكوين، ص17، ويعد عبد الله العجيري من أعضاء هيئة كتاب مركز تكوين للدراسات والأبحاث، مهتم بالقضايا الفكرية والعقدية المعاصرة ومن أشهر مؤلفاته(ميليشيا الإلحاد: مدخل لفهم الإلحاد الجديد، وينبوع الغواية الفكرية)، وفي كتاب"ميليشيا الإلحاد" عرض فيه أهم سمات الإلحاد الجديد وهو يجملها في ثلاثة سمات أولها الحماسة في الدعوة إلى الإلحاد وثانيها عدائية الخطاب الإلحادي الجديد،وثالثها استعمال الملحدين المعاصرين لأداة الإرهاب في محاربة الأديان وفي آخر الكتاب خصص ملحقا لأهم المراجع التي تناولت مسألة الإلحاد بالدراسة والبحث/ وينظر عمرو شريف، الإلحاد مشكلة نفسية، ص 40.

[53] . أحمد محمد بلقيس(2017م)، الإلحاد فرضية في أزمة، ط1، المملكة العربية السعودية: مركز تكوين، ص62

[54] . أمارناث امارسينغام(2019م)، إلحاد العصر، تر شيرين حداد، ط1، بيروت: المركز الأكاديمي للأبحاث، ص27.

[55] . نقلا عن عمرو شريف، الإلحاد مشكلة نفسية :ص44-45.

[56] . مجلة "The scientist".

[57] . ينظر العجيري، مليشيا الإلحاد، ص20.

[58] . فيلسوف ألماني متشائم.(ينظر بدوي، موسوعة الفلسفة :ج2ص31).

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA:

أحمد قبايلي ، د. يوسف عدار، (2021)، **الإلحاد المعاصر تاريخية الظاهرة وتبلور المصطلح** ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 13(02)/ 2021 ، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، (ص، .ص 160- 170) .